أقدم مخطوطة باللغة العربية في طب الأطفال

بقلم الدكتور

محمود الحاج قاسم محمد

الموصل ـ محافظة نينوى ـ العراق

المؤلف :

« ابو الحسن احمد بن محمد الطبري مَنْ عليها المؤرخون بترجمة والقبه بابي الحسن فاكتفى ابن ابي اصيبعة (م ١ ص ٣٢١) بالقول انه كان طبيب الامير ركن الدولة ولم يأتي القفطي على ذكره ولكن احد المستشرقين (بروكلمن م ١ ص ٣٧٥) يذكر انه عاش بين سنة ٣٢٠ وسنة ٣٦٦ هـ . وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة (راجع تاريخ دول الاسلام فصل ١٨٢) . واهمية هذا المؤلف تظهر لنا من خلال كناشه(١) الذي سماه « المعالجات البقراطية » الذي قال فيه ابن ابي اصيبعة انه من اجل الكتب وانفسها ونحن نقر ابن ابي اصيبعة على هذا(٢) .

أهمية المخطوط :

تراثنا الطبي كبقية انواع التراث على نوعين نوع يجب ان نحمله معنا ونهتم به لانه يثري مكتبتنا الطبية ويبعث الهمم في نفوس ابنائنا .

ونوع يثقل كواهلنا ولهذا يحسن بنا ان نهمله ونتخلص منه . وكتاب المعالجات البقراطية من النوع الذي يفيدنا ان نحمله معنا فهو حافل بالموضوعات القيمة وخاصة لانه يضم بين طياته القسم الخاص بعلل الاطفال وتدبيرهم ومداواتهم من الولادة وآداب الرضعة وتدبيرها .

ويتجلى اهمية هذا القسم والذي هو موضوع بحثنا :

اولا : من حيث كونه اقدم ما وصل لنا من كتابات الاطباء العرب والمسلمين في موضوع طب الاطفال باللغة العربية . اما كتاب الرازي في طب الاطفال والذي يعتبر اول مؤلف في هذا الحقل فلا يوجد منه نسخة باللغة العربية وانما يوجد منه نسخ مترجمة للعبرية واللاتينية والايطالية من النسخة الايطالية الى الانكليزية مؤخرا صوموئيل اكسرادبل ونشر في مجلة امراض الاطفال الامريكية سنة ٩٧١ (٣) .

وبالرغم من كون الطبري جاء بعد الرازي الا اننا لم نجد له اية اشارة لكتاب الرازي آنف الذكر فلا نعلم سبب ذلك اهو تجاهل له ام انه لم يطلع عليه واذا صح الاحتمال الاخير فانه يزيد الكتاب قيمة واصالة .

ثانيا ـ يؤكد المؤلف في مقدمته بانه لم يتكلم احد قبله في علاج الاطفال كلاما شافيا بل اعتمد الاوائل في ذلك على ان الطب علم وعلمه يشتمل على الاطفال وغيرهم في باب المعالجة ، ويمضي الطبري في تفنيد كلام البعض الاخر من كون معالجة الاطفال من مقام الجزئيات من الامراض وعدولهم من معالجة الاطفال الى معالجة المرضعات حتى يخلص الى حقيقة علمية نسجلها له بفخر الا وهي ضرورة معالجة الطفل المريض نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج المرضعة وهذا على ما اعتقد يعتبر طفرة عظيمة في حقل معالجة الاطفال لم يسبقه بها احد .

ثالثا ـ نجد في المخطوط اول اشارة الى الحشرة المسببة لمرض الجرب كما سياتي تفصيل ذلك فيما بعد .

أبواب الكتاب (٤) :

جاء في بداية الفهرست « من الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية في علل الاطفال وتدبيرهم ومداواتهم حين يتولد وآداب الرضعة وتدبيرها وهي ستون بابا على هذه الترتيبات المذكورة » .

الباب الاول في الجرب المعروف بالرفه وفيه كلام عن انواع الامراض الجلدية التي تصيب راس الطفل والامر المهم في هذا الباب قوله « اعلم ان الجرب انواعه كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد واكثر حدوده للراس ..... شديد الوجع شبيه بالسعفة وربما يتولد منها حيوان مثل الصيبان وهي مختلفة الصور ...»(٥) .

حيث يعتبره مؤرخو الطب مكتشفا لحشرة الجرب اذ لم

(١) « الكناش : هو لفظ يونانية معناه المعالجات في الراس الى القدم وجمعه الكنانشات » المخطوط حاشية ص ١ .

(٢) مقتطف من كتاب مآثر العرب في العلوم الطبية للدكتور سامي حداد ـ بيروت ١٩٣٦ ص ٤٨ .

(٣) Amer. J. Dis. Child./Vol. 122 Nov. 1971 p. 372—376.

(٤) اعتمدنا في بحثنا على النسخة المخطوطة والمحفوظة بدار الكتب المصرية برقم (١٤١) (١) طب والقسم الخاص بعلل الاطفال يقع ضمن مجموعة (الرسالة الاولى) من الكناش . والكتاب جميعه مع حواشيه بخط ناسخه كمال بن ظهيرالدين بن اختيار المتطبب الذي فرغ من نسخه سنة ٦١٣ م .

(٥) يراجع المخطوط حاشية ص ٥

يسبقه احد من الاطباء في الاشارة الى ذلك . وفي الابواب السبعة الاخرى يذكر امراضا جلدية اخرى تصيب راس الطفل واذنه وانفه ويذكر فيها العلاجات اللازمة لكل منها .

اما الباب السابع فقد افرده للتحدث عن الصرع يقول في هذا الباب من جملة ما يقـول :

« فيتولد من بخارات غليظة رطوبية فيملأ بطون الدماغ من الطفل ويسد فلا يجري القوة النفسانية في مجاريها فيهتز لذلك الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالصرع ومثل هـذه العلة اذا كانت بالكبار كان صرعا ويعسر تحلله في الكبار بـل لا يطمع في برؤه ... على سنه وفي الاطفال يزول باهون سعي بسرعة ... بما يميلها اليه وسهولة قبولها »(٦) لم يمضي في تعليل اسباب هذا المرض وعلاجه وعرض آراء بعض الاطباء في ذلك . ويتحدث في الباب الثامن عن العلة التي تسمى ... الكزاز الذي يحدث في الاطفال يقول في ذلك :

« مما يحدث في ابدان الصبيان علة تعرف بالاصطكاك ... وهـو ان يصطك اسنانه كثيرا عيناه وتحدث في سائر بدنه شبه بالاختلاج ولم ار طفلا حدثت به هذه العلة نجا منها ..... ذلك هـو الكزاز ولا يكاد يحدث علة بالطفل الا اذا كانت به جراحة غليظة او ظاهرة »(٧) .

كما انه يقول عن الكزاز ايضا في الباب العاشر « الكزاز علة يحدث في الاطفال كثيرا وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة اطراف العضلات والاوتار ... » الى ان يقول « واذا ما استحكم واستكت اسنانه سمي ذلك الوقت الكزاز الضاغط ... وقلما يتخلص منه الطفل .. »(٨) ويذكر من اعـراض الكزاز « العينان شاخصتان وان ترى العليل كانه يبحث ويعرض له سهر وعسر بول . واعلم ان كل آفة يحصل في الوتر والنخـاع والمفصل .... وما يعرض له يعرض للدماغ ... »(٩) ونجد للطبري في الباب التاسع التفاتة جميلة حيث يقسم الاسترخاء في الاطفال الى نوعين مكتسب ووراثي ويؤكد عدم امكان معالج الاسترخاء الوراثي فيقول «فيالاسترخاء ربما اصاب الطفل ... فينظر فان كان ذلك وراثة مثل ان يكون بابيه وامه استرخاء فلا حيلة فيه .... »(١٠) .

وفي الباب الثالث عشر والرابع عشر يتناول المؤلـف امراض الانف ويصف الجراحة في معالجة الزوائد اللحميـة في الانف وفي حالة عدم استجابتها للعلاج . اما الابواب السبعة التي تلي ذلك فقد خصها لامراض العين ومعالجاتها .

وفي الباب الثاني والعشرون يختصر الطبري اسباب البكاء في الاطفال في هذه الكلمات القليلة والتي تعني معنى علميا كبيرا فيقول : «اذا بكى الطفل دائما فهو لاحد اربعة اسباب اما لوجع في بعض اعضائه او لاحتباس اللبن في معدته او لشيء يؤذيـه في مضجعه او لقلة الغذاء وجوعه »(١١) .

وفي معالجة ذلك يوصي بعدم استعمال المخدرات للطفل بل يعالج السبب فيقول « فيجب ان يحذر من استعماله في الطفل يعالجه بحسب السبب»(١٢) . اما امراض الفم واللسان فيـردها في الفصول الاربعة التي تلت ذلك . اما الابواب الخمســة الاخرى فيناقش فيها الغرغرة في حلوق الاطفال وانطباق المريء وتعوج رقبة الطفل والعطاس ... الخ .

ولم نجد فيها ما يلفت النظر سـوى قول في غاية الصحة « فاما الادوية التي تستعمل في الكبار فلا يصلح للاطفال البتة ولا تحتمله معدتهم ولا امزجتهم »(١٣) .

اما امراض المعدة والامعاء في الاطفال فقد خصص له الابواب التي تلت ذلك حتى الباب الاربعين تناول فيها اورام المعدة والسرطان و... و... والقراقر والرياح وانواع القيام (ويقصد بذلك الاسهال) وعن الاسباب التي تجعل الطفـل يمتنـع عن شـرب الحليب وعن اللوى (المغص) في الاطفال .

اما الباب الواحد والاربعون فقد تعرض فيه للسعال واسبابه وعلاجه وفي الباب الذي بعده يستعرض نفث الدم والرعاف واسبابه ويفرق بين الدم الذي يخرج من الصـدر والانواع الاخرى بان يخرج بالسعال وهذه حقيقة علمية تسجل للطبري .

اما الباب الثالث والاربعون فقد تكلم فيه عن الجدري والحصبة ووصف الفلح كل منهما على حدة وعلاج ذلك . والابواب الثلاثة الاخرى يتحدث فيها عن بعض الامراض الجلدية التي تصيب ذكر الاطفال وفخذه وجسـمه وينتقل الكاتب في الباب الثامن والاربعون لذكر الديدان الصغار والكبار حيث يقول « وقد يظهر في الاطفال في المقعدة ديدان صغار كانها رؤوس الابر بيض فيؤذي الطفل ويمنعه من النوم »(١٤) « وربما خرج مع براز الطفل ديدان طوال »(١٥) .

وفي الابواب التي تلت ذلك يتحدث عن خـروج المقعدة وورم الخصية وانواعه حيث يفرق بين ورم الخصية نفسها والفتق وكذلك عن رجوع القضيب والتهابه .

اما الابواب الثلاثة التي بعدها فقد خصصـها لامراض الجهاز البولي فيتكلم عن بول الرمل والحصا والدم وخروج شيء شبيه بالمني او اللبن .

وفي الباب السادس والخمسـون والسابع والخمسـون يبحث في تورم الاربتين (طرفي آلات التناسل) ووجع المفاصل . ويتكلم عن انواع الحميات في باب خاص وعلى طريقة سابقيه من المؤلفين العرب . وفي الباب التاسع والخمسون يتناول آداب المرضعة وتدبيرها . ومما تجدر الاشارة اليه في هـذا الباب قوله « اعلم ان احسن اللبن للمولود لبن امه لانه اشبه بجوهرها يقدم من غذائه في الرحم »(١٦) .

ويختتم كتابه في الباب الستين والذي افرده للتحدث عن كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الولادة وكيفية تغذيته وتربيته حتى تثبت اضراسه .

---

(٦) المخطـوط ص ٩ .

(٧) المخطوط ص ١٣

(٨) المخطوط ص ١٥

(٩) المخطوط حاشية ص ١٥

(١٠) المخطوط ص ١٤

(١١) المخطوط ص ٢٣

(١٢) المخطوط ص ٢٤

(١٣) المخطوط ص ٣٣

(١٤) المخطوط ص ٥٤

(١٥) المخطوط ص ٥٥

(١٦) المخطوط حاشية ٦٦